

قراءات ومراجعات

القيم في المدرسة الإصلاحية للمعهد العالمي للفكر الإسلامي

(1986-2021): دراسة تحليلية نقدية

حسان عبد الله حسان*

مقدمة:

تشغل القيم مكانة مِهْمَة في التفكير الإنساني عامة، والفكر الإسلامي بوجه خاص؛ فالقيمة في مرجعية الفكر الإسلامي تُحْفَظ على التوازن والاستقامة في أمور المعاش والمعاد، وترتبط بأمور العلم والعمل، وتتعلّق بالمنهج، والتفكير، والوسائل، والإصلاح، وتتصل مباشرةً بالعدل، والاعتدال، والاستقامة، والاستواء، وتؤكد المعيارية، والثبات، والاستقرار، مثلما تُؤكِّد الواقعية، والعملية.

وتروم هذه الدراسة إدراك مكانة القيم في الفكر الإصلاحي المعاصر، بالتعرُّض لمدرسة المعهد العالمي للفكر الإسلامي (1981)، والوقوف على مكان القيم ومكانتها في الإنتاج الفكري لهذه المدرسة مما هو متوفر باللغة العربية، وتقويم الكتابات التي تمت في هذا الإطار، مع تقديم نظرة نقدية استشرافية لدعم هذه المكانة في برامج المعهد الفكرية.

* أستاذ أصول التربية المساعد، جامعة دمياط، جمهورية مصر العربية. البريد الإلكتروني:

hassan_abdallah1970@hotmail.com

تم تسلّم البحث بتاريخ 2021/2/1م، وقُبِل للنشر بتاريخ 2021/8/1م.

حسان، حسان عبد الله (2021). القيم في المدرسة الإصلاحية للمعهد العالمي للفكر الإسلامي (1986-2021م): دراسة تحليلية

نقدية، مجلة "الفكر الإسلامي المعاصر"، مجلد 27 العدد 102، 233-262.

وجاءت هذه الدراسة على نسق الدراسات الوصفية، معتمدةً أسلوب تحليل المضمون بوصفه أنسب الأساليب المنهجية لتحقيق أهدافها. ويُعرّف أسلوب تحليل المضمون بأنه "أسلوب للبحث العلمي يُمكن أن يستخدمه الباحثون في مجالات بحثية مُتنوّعة لوصف المحتوى الظاهر والمضمون الصريح للمادة المراد تحليلها - من حيث الشكل والمضمون - وذلك بشرط أن تتمّ عملية التحليل بصفة مُنتظمة، ووفق أسس منهجية، ومعايير موضوعية" (حسين، 1996، ص 22).

وتأسيساً على ذلك، اعتمدت الدراسة - في ما يتعلّق بوحدة التحليل - وحدة الموضوع بوصفها وحدة تحليلية، مُمثّلة في وحدة "العنوان"؛ بُغيةً تحديد المادة التحليلية الخاصة بالقيم في الإنتاج الفكري للمعهد العالمي للفكر الإسلامي.

وجاء استخدام وحدة "الموضوع - الفكرة" لمناسبتها تحقيق أهداف الدراسة، وملاءمتها طبيعة مادة التحليل. "وتُعتبر وحدة الموضوع من أهم وحدات تحليل المحتوى، وقد يكون الموضوع جملة بسيطة، أو فكرة تدور حول قضية مُحدّدة سياسية كانت، أو اجتماعية، أو غيرها، أو كانت من موضوعات الاتصال الفردي، أو الجمعي" (طعيمة، 2004، ص 321). وقد اعتمدت الدراسة وحدة "العنوان" - كما أشرنا آنفاً - بوصفها وحدة تحليل أساسية لموضوع القيم في كتابات المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

وحدّدت الدراسة الأوعية الأساسية الآتية للوقوف على الإنتاج الفكري للقيم في المعهد العالمي للفكر الإسلامي:

- كتب المعهد الصادرة عنه.

- مجلّة الفكر الإسلامي المعاصر (إسلامية المعرفة سابقاً).

- الندوات التي عقدها المعهد.

وسارت الدراسة التحليلية وفقاً للخطوات الآتية:

- استقراء الكتابات الخاصة بالقيم في أوعية النشر المُعتمَدة لدى المعهد، وهي: الكتب، والمجلّة الخاصة به "مجلّة الفكر الإسلامي المعاصر" (إسلامية المعرفة سابقاً) في أعدادها، بدءاً بالعدد (1)، وانتهاءً بالعدد (101).

- الوقوف على الكتابات الخاصة بالقيم في أوعية النشر السابقة.
 - تصنيف هذه الكتابات تصنيفاً مجالياً يتعلّق ببعض مجالات المعرفة التي يتضمّن محتواها المذكور.

- التحليل المعرفي لمحتوى هذه الكتابات، ومنهجية التناول في كل مجال.
 وتتألف هذه الدراسة من ثلاثة محاور، إضافةً إلى المقدمة والخاتمة، هي: القيم في الوثيقة الفكرية للمعهد العالمي للفكر الإسلامي، والنظرة الاستقرائية لكتابات المعهد في موضوع القيم (القيم في الإنتاج الفكري "التحليل الكمي")، والتحليل المعرفي لكتابات المعهد المتعلّقة بالقيم (مجالات القيم في محتوى الإنتاج الفكري).

أولاً: القيم في الوثيقة الفكرية للمعهد العالمي للفكر الإسلامي

يُقصد بالوثيقة الفكرية هنا وثيقة التأسيس الخاصة بالمعهد العالمي للفكر الإسلامي، التي جمعت بين دفتي كتاب حمل عنوان: "إسلامية المعرفة: المبادئ العامة، حُطّة العمل، الإنجازات". وقد نشر المعهد هذا الكتاب الذي جاء في إصدارين: أولهما بقلم إسماعيل الفاروقي، تحت عنوان: "أسلمة المعرفة: المبادئ العامة، وحُطّة العمل" (الفاروقي، 1984)، وذلك عام 1984م. وثانيهما باسم المعهد العالمي للفكر الإسلامي، تحت عنوان: "إسلامية المعرفة: المبادئ العامة، حُطّة العمل، الإنجازات" (الفاروقي، 1984)، وذلك عام 1986م. ويُعدّ الإصدار الثاني هو الإصدار المُعتمَد من المعهد؛ نظراً إلى احتوائه على الإصدار الأوّل، وعلى بعض الإضافات.

إنّ الاستقراء العام للوثيقة الفكرية المُعتمَدة من المعهد العالمي للفكر الإسلامي يشير إلى اختفاء عنوان "القيم" من الحُطّة الكلية لعمل المعهد ومباحثه الرئيسة التي رُسمت في هذه الوثيقة. والاختفاء هنا يتضمّن اختفاء الشكل؛ أي اللفظة المُستخدمة.

غير أنّه لا يمكن عدّ ذلك حكماً عاماً على مكانة القيم في الوثيقة الفكرية الأساسية للمعهد؛ لأنّ المضامين التي تحويها الوثيقة تحمل عدداً من القيم والإشارات القيمية الواضحة الدلالة.

إنَّ العناية الفكرية التي أولتها الوثيقة لعالم أفكار الأمة إنّها مردها أنّ أزمة الأمة - في حقيقتها - أزمة فكرية؛ إذ أكّد المعهد "أنّ أزمة الأمة الكبرى في الوقت الحاضر إنّما هي أزمة فكرية، وأنّ العلاج ينبغي أن يبدأ من هذا المنطلق، وأنّه لا بُدَّ أن تُعطى قضية الفكر ومنهجه الأولوية اللازمة كأساس لإنجاح جهود الإنقاذ والإصلاح" (الفاروقي، 1984، ص36).

إنَّ عالم أفكار الأمة الذي عدّته الوثيقة مدار عمل المعهد ومدرسته الإصلاحية الجديدة يتضمّن - في حقيقته - ثلاثة مرتكزات أساسية، هي: المفاهيم، والتصوّرات، والقيم. ولا يُمكن فصل هذه المرتكزات عن أيّة حركة إصلاحية ومعرفية.

وكذلك أشارت الوثيقة إلى أنّ من مهامها إعادة اللّحمة إلى النظام المعرفي الإسلامي، الذي انشَقَّ بفعل الاستعمار والتغريب إلى قسمين: علماني، وأصيل، وأنّ استعادة الوحدة الفكرية تتطلّب توافر نظام تعليمي يقوم على وحدة القيم في المشروع التربوي الحضاري الجديد الذي تتبنّاه الوثيقة.

ومن ثمّ، فإنّ الحاجة مُلِحّة إلى نظام تعليمي يرتكز في منطلقاته على أسس وقيم وغايات إسلامية، وإلى مُقرّر دراسي يتناول أسس الإسلام وقيمه بوصفها جوهرراً للفكر والحضارة الإسلامية (الفاروقي، 1984، ص49). وكذلك، فإنّ إصلاح عالم أفكار الأمة يتطلّب إحلال القيم الإسلامية محلّ القيم الغربية من المنظور المعرفي الذي يتبنّاه العقل الإسلامي. وبهذا الخصوص، أكّدت الوثيقة أنّه "يجب أن تحلّ القيم الإسلامية - ونعني بالقيم الإسلامية هنا قيم توجيه فائدة المعرفة لسعادة الإنسان - مكان القيم الغربية، وتفتح وتطوّر ملكات الإنسان العقلية، وإعادة صياغة الحياة، بحيث تتجسّد فيها السّنن الإلهية، وقيم الإسلام في بناء الثقافة والحضارة والمعالم الإنسانية، وفي المعرفة والحكمة، والبطولة والفضيلة، والتقوى والورع" (الفاروقي، 1984، ص54).

وأكّدت الوثيقة أيضاً مجموعة من القيم الأساسية التي يسعى المشروع الإصلاحي للمعهد إلى دمجها في الحياة الفكرية الإسلامية، وهذه أهمها:

- قيمة التكامل بين الوحي والعقل (الفاروقي، 1984، ص64).

- قيمة التكامل بين الفكر والعمل (الفاروقي، 1984، ص66).

- قيمة التكامل بين الديني والديني (الفاروقي، 1984، ص 70).
- قيمة التوحيد (الفاروقي، 1984، ص 78).
- قيمة وحدة الحقيقة (الفاروقي، 1984، ص 89).
- قيمة وحدة الإنسانية (الفاروقي، 1984، ص 103).
- قيمة وحدة الخلق (الفاروقي، 1984، ص 80).

وجاء في التعريف بمجلة الفكر الإسلامي المعاصر (إسلامية المعرفة سابقاً)، أن من بين أهدافها: العمل على تطوير البديل المعرفي الإسلامي، وبلورته في العلوم الإنسانية والاجتماعية على أساس من التمثيل المنهجي للرؤية الكونية التوحيدية، والقيم الأساسية، والمقاصد العليا للإسلام. وبالرغم من غياب القيم بوصفها مبحثاً رئيساً في الوثيقة الفكرية الخاصة بالمدرسة الإصلاحية للمعهد العالمي للفكر الإسلامي (1981)، فإن المحتوى أظهر اعتماد رؤية المعهد الإصلاحية على مسار القيم، وعده مرتكزاً رئيساً للإصلاح الفكري، الذي يُعدُّ (أي مسار القيم) حلقة وسطى بين التصورات والمفاهيم المُتعلِّقة بإصلاح عالم أفكار الأمة، وتحويل هذه التصورات والمفاهيم إلى قيم قابلة للتنزيل على واقع الأمة، وتجسيد منظور الإصلاح فيها.

ثانياً: القيم في الإنتاج الفكري "التحليل الكمي"؛ نظرة إحصائية

بناءً على الدراسة الاستطلاعية للإنتاج الفكري للمعهد التي تناولت موضوع القيم، فإنه توجد ثلاثة أوعية لمحتوى القيم، هي: الكتب الصادرة عن المعهد، ومجلة الفكر الإسلامي المعاصر (إسلامية المعرفة سابقاً)، وندوة القيم الإسلامية ومناهج التربية والتعليم التي نظَّمها كل من المركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية بالمدرسة العليا للأساتذة بتطوان، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، ومنظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، في الرباط أيام (21-23) من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) عام 2005م.

وفي ما يخصُّ الإنتاج الفكري المُتعلِّق بالقيم في هذه الأوعية، فإنَّ الوعاء الأوَّل تتضمَّن (6) إصدارات، في حين بلغ عدد المقالات والبحوث المنشورة في مجلَّة الفكر الإسلامي المعاصر (12) مقالاً وبحثاً، أمَّا ندوة القيم الإسلامية ومناهج التربية والتعليم فاشتملت على (4) موضوعات. والجدول رقم (1) يُوضِّح تفاصيل هذا التصنيف.

الجدول رقم (1): القيم في الإنتاج الفكري للمدرسة الإصلاحية للمعهد العالمي للفكر الإسلامي

الكتب التي أصدرها المعهد			
الرقم	العنوان	المؤلف	
1	دور القيم في نجاح البنوك الإسلامية	محمد جلال سليمان صديق	
2	القيم السياسية العالمية في الخطاب القرآني	مصطفى جابر العلواني	
3	مدخل القيم: إطار لدراسة العلاقات الدولية في الإسلام	سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل	
4	منظومة القيم العليا: التوحيد، والتزكية، والعمران	فتحي حسن ملكاوي	
5	منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية	فتحي حسن ملكاوي	
6	القيم التربوية وبناء الشخصية المعاصرة، ضمن كتاب: المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والإسلامية	أحميدة النيفر	
مجلَّة الفكر الإسلامي المعاصر (إسلامية المعرفة سابقاً)			
الرقم	العنوان	الكاتب	العدد
1	القيم والنظام المعرفي في الفكر السياسي	مصطفى منجود	19
2	تقرير القيم الإسلامية ومناهج التربية والتعليم بالمدرسة العليا بتطوان	خالد الصمدي	(43-42)
3	في التأصيل الإسلامي لمفهوم القيم	فتحي حسن ملكاوي	54
4	القيم العالمية	فتحي حسن ملكاوي	56
5	التزكية في منظومة القيم الحاكمة	فتحي حسن ملكاوي	57
6	العمران في منظومة القيم الحاكمة	فتحي حسن ملكاوي	59
7	القيم الأخلاقية والعلوم الاجتماعية: نحو إستمولوجية القيم الحاكمة	عبد الرزاق بلعقروز	80

مجلة الفكر الإسلامي المعاصر (إسلامية المعرفة سابقاً)			
الرقم	العنوان	الكاتب	العدد
8	الختمية القيمية والإعلام المعاصر	عبد الرحمن عزي	81
9	القيم بين مرجعية الفعل وسلطة المرجع: مقاربة سوسولوجية في الرواية العربية	الشريف حبيلة	83
10	مقاصد القرآن في إحياء قيم الإنسان الحضارية	نور الدين الخادمي	89
11	تربية القيم في عصر ما بعد الحقيقة	هيئة التحرير	96
12	معالم تجديد الفكر الأخلاقي ونقد القيمة في الفكر المغاربي المعاصر	حيدر العايب	96
ندوة القيم الإسلامية ومناهج التربية والتعليم			
الرقم	العنوان	الكاتب	
1	القرآن والقيم	طه جابر العلواني	
2	موقع القيم في التعليم الجامعي	فتحي حسن ملكاوي، وأحمد سليمان عودة	
3	معيارية القيم والمنهج القرآني	محمد بلشير الحسني	
4	أزمة القيم في المناهج التربوية على الصعيد العالمي وانعكاساتها على التربية في العالم الإسلامي	عبد الرحمن النقيب	

صدر عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي بين عامي (1986م) و(2021م) ما يزيد على (400) كتاب، ونُشر في مجلة الفكر الإسلامي المعاصر (إسلامية المعرفة سابقاً) نحو (400-500) موضوع بحثي في (101) عدد، إلى جانب عشرات الندوات التي عقدها المعهد على مدار هذه السنوات. وفي كل هذه المساحة الفكرية،¹ لم ينل موضوع القيم -بصورة مباشرة- نصيباً وافراً من حيث الاهتمام الكمي، وهو ما لا يتناسب مع مكانة القيم في الأزمة الفكرية التي عدها مشروع المعهد الأزمة الحقيقية التي تواجهها الأمة؛ إذ لا مكانة تُذكر للقيم في الفكر الحديث على وجه العموم.

¹ اعتمدنا في تعرّف الإنتاج الفكري للمعهد في مجال القيم على التواصل مع إدارة النشر في المعهد. أمّا في ما يخصّ المجلة فقد اعتمدنا على فهرسها، وأعدادها المنشورة في شبكة الإنترنت، وما تضمّنته من موضوعات بحثية، ودراسات، وندوات.

ثالثاً: مجالات القيم في محتوى الإنتاج الفكري

في ما يخصُّ المضامين الفكرية لمادة المحتوى، واتجاهاتها البحثية، توصلت الدراسة التحليلية إلى أنّ الإنتاج الفكري الخاص بالمدرسة الإصلاحية للمعهد العالمي للفكر الإسلامي يُمكن رفده -من حيث المضامين الفكرية- في ثمانية مجالات معرفية، هي: المجال التأصيلي-التربوي، والمجال السياسي، ومجال العلوم الاجتماعية، ومجال القيم الجامعية، والمجال النقدي، والمجال الاقتصادي، والمجال الفلسفي، والمجال الحضاري.

1. المجال التأصيلي-التربوي:

يُقصد بهذا المجال جُملة البحوث والدراسات التي اهتمت بالمنحى التأصيلي للقيم، وبيان آثارها التربوية في بناء الفرد والجماعة والأمة. وقد شغل هذا المجال ما نسبته 45٪ من إجمالي الإنتاج الفكري ما بين عامي (1981م) و(2020م). والجدول رقم (2) يتضمّن عناوين المادة الفكرية الخاصة بمجال القيم.

الجدول رقم (2): كتابات القيم الخاصة بالمجال التأصيلي-التربوي

الرقم	العنوان	المؤلف	نوع المادة
1	منظومة القيم العليا: التوحيد والتزكية وال عمران	فتحي حسن ملكاوي	كتاب
2	منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية	فتحي حسن ملكاوي	كتاب
3	القيم التربوية وبناء الشخصية المعاصرة، ضمن كتاب: المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والإسلامية	أحمد النيفر	بحث
4	تقرير القيم الإسلامية ومناهج التربية والتعليم بالمدرسة العليا بتطوان	خالد الصمدي	ندوة
5	التأصيل الإسلامي لمفهوم القيم	فتحي حسن ملكاوي	بحث
6	التزكية في منظومة القيم الحاكمة	فتحي حسن ملكاوي	بحث
7	ال عمران في منظومة القيم الحاكمة	فتحي حسن ملكاوي	بحث
8	تربية القيم في عصر ما بعد الحقيقة	هيئة التحرير	بحث
9	القرآن والقيم	طه جابر العلواني	مقالة
10	معيارية القيم والمنهج القرآني	محمد بلشير الحسني	بحث

وقد اهتمت المجلة في المجال التأصيلي-التربوي بمسارين رئيسين؛ أولهما يتعلّق بالبحث في أسباب التأصيل، ودوافعه، وسياقاته، وضرورته الحضارية. وثانيهما يتعلّق برسم خارطة للقيم الأساسية، وبيان أثرها في بناء الشخصية المسلمة للفرد والمجتمع والأمة.

ومن البحوث الواردة في هذا المجال بحث "التأصيل الإسلامي لمفهوم القيم" الذي أوضح سياقات الدفع إلى التأصيل الإسلامي للقيم، وعزا ذلك إلى السياقات العالمية-الحضارية المعاصرة، ولا سيّما ما يتعلّق بالتحوّلات الفكرية والثقافية. "فقد أصبحت موازين القوى في العالم تتحوّل من الاهتمام بالجوانب العسكرية والسياسية والاقتصادية إلى الجوانب الفكرية والثقافية والاجتماعية، وأخذت المنظمات الإقليمية والدولية تمارس أدواراً مباشرةً في فرض الهيمنة على الشعوب، في مسائل كانت تمثّل إلى عهد قريب خصوصيات ثقافية، أو دينية مُقدّسة. وأخذت تلك الخصوصيات المُقدّسة تحلّي موقعها أمام الشرعية الدولية بوصفها مرجعية لا سبيل إلى تجاوزها. وبعد أن كانت الشرعية الدولية هي قرارات سياسية وعسكرية، أصبحت قرارات تتعلّق بحقوق الإنسان، والثقافة السكانية، والمجتمع المدني، وحقوق المرأة، ومفهوم الأسرة" (ملاوي، 2008، ص 15).

ويبدو أنّ السبب الرئيس في مسألة تأصيل القيم، ليس فقط التحوّلات المعاصرة كما أشرنا، وإنّما الاتجاه التأصيلي الذي ظهر مع بدايات عصر الاستعمار ومشروعه التغريبي وآثاره في استلاب الشخصية المسلمة، وهو ما دفع اتجاه المقاومة الفكرية للمشروع التغريبي إلى وضع أسس المنهج التأصيلي وأصوله للمفاهيم والقيم الإسلامية بوجه عام.

وفي ضوء ذلك، اهتمت الدراسة ببيان السبب المناسب لمعالجة تهميش القيم ونقدها، والتكيّف مع العولمة، ونمط القيم، ونقد المفاهيم، مثل: "القيم التقليدية"، و"القيم الأيديولوجية"، و"نسبية القيم". وعدت كل ذلك دافعاً إلى تأصيل مفهوم "القيم العقلاني المعيارية" من المنظور الإسلامي.

وقد أشارت الدراسة إلى وجود ثلاثة شروط لعملية التأصيل: "أولها: التمكن التفصيلي من العلوم الحديثة ذات العلاقة. وثانيها: التمكن التفصيلي من العلوم الحديثة ذات العلاقة.

وثالثها: القدرة المُتميّزة على الاستيعاب والتجاوز؛ لإبداع رؤية مُتطوّرة مُتجدّدة" (ملكاوي، 2008، ص 21).

وفي ما يخصُّ النماذج التي تضمَّنها الإنتاج الفكري بوصفها تطبيقات للتأصيل في مجال القيم، فقد ذكر الدكتور فتحي ملكاوي في كتابه "منظومة القيم العليا" ثلاث قيم، هي: التوحيد، والتزكية، وال عمران، وجاءت منهجية التأصيل مُثَلَّةً في خطوات منهجية عديدة. ففي ما يتعلّق بقيمة التوحيد، حدّد الكتاب الخطوات الآتية لتأصيل هذه القيمة:

- أ. بيان معنى التوحيد في القرآن الكريم، وتتبع الألفاظ المُتعلّقة به ودلالاتها القرآنية.
 - ب. بيان معنى التوحيد في السُّنة النبوية، وتتبع الألفاظ المُتعلّقة به ودلالاتها النبوية.
 - ت. الوقوف على موضوع التوحيد وماهية علم التوحيد من خلال كتاب التراث الكلامي.
 - ث. بيان أثر التوحيد وتضميناته على الفكر والحياة، في ضوء أفكار إسماعيل الفاروقي.
- (ملكاوي، 2013، ص 21-48).

وفي ما يتعلّق بقيمة التزكية، فقد سارت منهجية الكتاب في تأصيل هذه القيمة وفق الخطوات الآتية:

- أ. الكشف المعجمي لألفاظ التزكية في القرآن الكريم (ملكاوي، 2013، ص 79).
- ب. الكشف الحديثي لألفاظ التزكية في الحديث النبوي الشريف (ملكاوي، 2013، ص 94).
- ت. التحليل المعرفي لمفهوم "التزكية" في التراث الإسلامي ومدارسه (ملكاوي، 2013، ص 97).
- ث. المردود التربوي لتزكية النفس (ملكاوي، 2013، ص 101).
- ج. بيان وسائل التزكية (ملكاوي، 2013، ص 111).

وفي ما يتعلّق بقيمة العمران، أتبع الكتاب الخطوات المنهجية الآتية لتأصيل هذه القيمة:

- أ. الوقوف على لفظة "العمران" في القرآن الكريم ودلالاتها المُتعدّدة (ملكاوي، 2013، ص 128).

ب. بيان معنى العمران في الحديث النبوي الشريف، ومعانيه المُتعدّدة (ملكاوي،

2013، ص 143).

ت. العمران عند ابن خلدون من خلال مقدمته، وأركان العمران عنده، وشروط تحقيقه (ملكاوي، 2013، ص148).

ث. بيان علاقة العمران بالحضارة في رؤية العالم الإسلامية (ملكاوي، 2013، ص153).

ج. بيان علاقة العمران والسياسة والدولة من خلال الكتابات التراثية.

وهكذا رسمت أدبيات القيم في المجال التأصيلي منهج التأصيل لمفهوم "القيم" من وجهة نظر هذه الأدبيات، بالرغم مما فيه من قصور ومحدودية واختزال لمعنى التأصيل.

أمّا من حيث المردود التربوي (الانعكاسات التربوية) للقيم على مجال بناء الشخصية الفردية والجماعية الإسلامية، فقد قالت المجلة في ذلك: "ونحن نُؤمن بأنّ تربية القيم تحتل موقعاً مركزياً في جهود الإصلاح التربوي في المرجعية الإسلامية. ويجدر بنا أن نلاحظ الصفة التكاملية والتبادلية بين التربية والقيم، فالتربية هي وسيلة لتنمية القيم، والقيم هي موجهات للتربية. فالتربية قيم، وفي التربية قيم تربوية، والتربية سلوك قيمي.

تربية القيم، أو التربية على القيم، أو التربية القيمية، هي تربية أخلاقية، وتأدّب بآداب وفضائل نفسية وسلوكية من صدق ووفاء وإيثار، وغير ذلك من الفضائل والشائيل. لكنّ هذه التربية تتسع لتشمل قيماً في الاجتماع البشري الفطرية والتعاقدية. فحياة البشر إنّما تقوم على علاقات اجتماعية تفرض حقوقاً وواجبات، وتبني نظماً، وتضع عقوداً، وتقرّر التزامات، تقوم كلها على الشعور بالمسؤولية والرعاية والتكافل. وتستمر التربية القيمية في التوسّع لتحقيق قيم المسؤولية عن الحياة، والاستخلاف في الأرض، وعمرانها المادي والمعنوي، وما يلزم ذلك من قيم الاجتماع البشري" (هيئة تحرير مجلة إسلامية المعرفة، 2019، عدد 96، ص8).

وفي المقالة السابقة نفسها، أشارت المجلة إلى عدد من مجالات التأثير القيمي في التربية، مثل:

- تعليم القيم في الأسرة (هيئة تحرير مجلة إسلامية المعرفة، 2019، عدد 96، ص8).
- تعليم القيم في المدرسة (هيئة تحرير مجلة إسلامية المعرفة، 2019، عدد 96، ص10).
- تربية القيم ومؤسسات الإعلام (هيئة تحرير مجلة إسلامية المعرفة، 2019، عدد 96، ص13).

- تربية القيم في المسجد (هيئة تحرير مجلة إسلامية المعرفة، 2019، عدد 96، ص 16).

أما بحث أحميدة النيفر "القيم التربوية وبناء الشخصية الإسلامية المعاصرة"، فقد نادى بـ"إعادة تأسيس القيم التربوية الكامنة في التراث الإسلامي"، مبيِّناً أنَّ مشروع إعادة تأسيس القيم التربوية يحتاج إلى إدراك صعوبة التعبير عن القيم التربوية، وهذا بدوره يربطنا بمظهرين يدوان متعارضين وغير قابلين للتألف. فمن جهة، هناك الجانب الثابت غير القابل للتطور والمُتعلِّق بالآداب والمناقب والسلوكيات التي يجب أن تتَّصف بها الذات المسلمة. وهناك الجانب المُتغيِّر، والذي يُمثِّله عامل الزمن ومشاكله التي يطرحها على كل المُربيِّين والمُشرفين على خطوط تكوين المستقبل القريب والمتوسط في هذا المجال. فالتربية، ككل القيم الكبرى، لا يُمكن أن تُفهم وتبلور إلا بمظهرين مُتقابلين ومُتناقضين، من دونها تُفقد كل قدرة على الحياة والإبداع" (النيفر، 1987، ص 881).

وأما مقالة طه العلواني "القرآن والقيم"، فلم نعثر فيها على ما يتعلَّق بدلالة العنوان؛ إذ عرضت لضرب الأمثال في القرآن الكريم وموضوعات أخرى لا تدخل في موضوع القيم بالمعنى العلمي المتعارف عليه للقيم (العلواني، 2006، ص 21 - 25).

وأما بحث محمد بلبشير الحسني "معيارية القيم والمنهج القرآني"، فاهتمَّ بتعريف القيم، وسياق استعمالها، ومُؤسَّرات التفاضل القيمي في القرآن الكريم (الإيمان، والجهاد، والإنفاق، والعلم النافع، والعمل الصالح)، وصنَّف القيم إلى فطرية، ومُكتسبة، مبيِّناً أنَّ القيم المُكتسبة تنقسم إلى قيم حضارية مُشخَّصة في التعليم والصحة والتضامن والتدين، وقيم اجتماعية وأخلاقية في مجال العلاقات، وقيم مادية (المال، والكسب المادي)، وقيم سياسية (العلاقة بين الدولة والمواطنين). وكذلك تناول البحث مصادر القيم، وحددها في مصدرين: إلهي، وبشري وضعي. ثمَّ أشار إلى بعض القضايا التي تتعلَّق بالقيم (القيم والهويَّة، والقيم والتربية)، وعرَّف القيم في القرآن الكريم بأنها مجموعة من الأوامر والنواهي القرآنية التي تضمَّنها القرآن الكريم في مجالات الحياة المُتعدِّدة. وحدد البحث مقاصد القرآن الكريم في تثبيت القيم التي أهمها (الحسني، 2006، ص 189):

- إعلان استخلاف الله للإنسان، وتكريمه، وتفضيله.
- إقرار مبادئ التوحيد، والعدل، والحق، والمساواة.
- الدعوة إلى الإيمان المقرون بالعمل الصالح.
- نبذ كل ألوان التعدي، والظلم، والاستغلال.
- تقدير قيم العقل، والعلم، والعمل.
- حفز المسلمين على الألفة، والاعتصام بجبل الله.
- التدافع الإنساني.

2. المجال السياسي:

في ما يتعلّق بالإنتاج الفكري - في موضوع القيم - الخاص بالمدرسة الإصلاحية للمعهد العالمي في المجال السياسي، فإنّ الدراسة أشارت إلى وجود ثلاث دراسات تُمثّل ما نسبته 13٪ من مجموع مادة المحتوى الفكري الخاص بالقيم. والجدول رقم (3) يوضّح هذه الإسهامات.

الجدول رقم (3): كتابات القيم الخاصة بالمجال السياسي

الرقم	العنوان	المؤلف	نوع المادة
1	القيم والنظام المعرفي في الفكر السياسي: رؤية مقارنة في إسهامي الغزالي وميكافيلي	مصطفى منجود	دراسة
2	مدخل القيم: إطار مرجعي لدراسة العلاقات الدولية في الإسلام	سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل	دراسة
3	القيم السياسية العالمية في الخطاب القرآني: مدخل منهجي لدراسة العلاقات الدولية	مصطفى جابر العلواني	كتاب

اهتمّت دراسة القيم والنظام المعرفي السياسي بالدرس المقارن للقيم في المجال السياسي الإسلامي والغربي، وتأثير القيم في بناء النظام المعرفي الذي يستند إليه الفكر السياسي. ونظرت هذه

الدراسة إلى القيم على أساس أنّها "أحكام معيارية تتضمّن مُثلاً وأهدافاً ضابطة للوجود الاجتماعي فكراً ونظماً وممارسةً، ولها صفة الضرورة والالتزام والعمومية" (منجود، 1999، عدد 19، ص 5).

أمّا من ناحية ارتباط القيم بالنظام المعرفي، فأكدت الدراسة "أنّ القيم حين تضع حدوداً لِمَا ينبغي أن يلتزمه النظام المعرفي، وحين يستنبطها النظام المعرفي بشكل أو بآخر حال هضمه لها واستيعابه لمضمونها، لا تدع للفكر السياسي مجالاً للتعامل معها إلاّ بأحد مسلكين؛ إمّا المعاشية لها، والنهوض بها، والحفاظ على اتّباعها، وإمّا الخصام معها، والدعوة إلى تجاوزها، وإحلال بدائل أخرى لها؛ سواء قبلها الواقع الحضاري، أو رفضها، مثاليّاً أو واقعيّاً" (منجود، 1999، عدد 19، ص 11).

وقد توصلت هذه الدراسة المقارنة إلى أنّ الأصول الفكرية والواقع الحضاري للغزالي وميكافيلي حدّدت إسهام كلّ منهما في مفاهيم القيم، والنظام المعرفي، والفكر السياسي، وهو ما حداً بها إلى صياغة فكريهما، فباتت حاضرة في عقليهما مشكلة الوجود السياسي في عصرهما (منجود، 1999، عدد 19، ص 39).

والحقيقة أنّ النظام المعرفي الإسلامي الذي يجذب إليه نظام الغزالي المعرفي، ويمتد إليه بشكل أو بآخر، والنظام المعرفي الغربي الذي يرتبط به نظام ميكافيلي المعرفي، ويمتد إليه بشكل أو بآخر؛ قد يتلاقيان في بعض مقوّماتهما، وبعض مقاصدهما، وبعض وسائلهما، لكنّها عن التلاقي المُطلَق أبعدها ما يكونان. على أنّ ذلك لا يمنع من إمكانية التعايش - شرط التسليم بذلك من أنصار النظامين - بينها، وهذا يتطلّب استثمار بؤادر الاتّفاق على ندرتها، وتحجيم الآثار السلبية لبؤادر الشقاق على كثرتها. وإذا كانت سنن الله تعالى في الأرض قد بوأت النظام المعرفي الغربي - بتفريعاته الكثيرة - منزلة العلو حتى حين، فإنّ محاولته فرض هذا العلو بالباطل على الآخر الإسلامي لن تؤدي إلاّ إلى القطيعة، والصدام بينهما. وفي المقابل، فإنّ بعض أنصار النظام المعرفي الإسلامي سلخوه من أصلته، وأصرّوا على أنّ ينسحق في الآخر الغربي، دونها فقدان الهويّة، وفقدان شروط التمايز الحضاري (منجود، 1999، عدد 19، ص 47).

أما دراسة سيف الدين عبد الفتاح: "مدخل القيم: إطار مرجعي لدراسة العلاقات الدولية في الإسلام"، فكانت رائدة في مجالها الذي عُنونت به؛ لِمَا انشغلت به بصورة منهجية من التأسيس "للمنظومة الحضارية" لدراسة العلاقات الدولية، والمدخل القيمي هنا هو مدخل تأسيس لبناء هذا المنظور الحضاري. وقد انتقلت هذه الدراسة من التأسيس الفكري لهذا المنظور "عالم الأفكار" إلى مجال التشغيل المنهجي "عالم الأحداث والإشكالات".

قامت هذه الدراسة على مقولة فكرية مفادها "أنَّ المدخل الطبيعي للربط بين المدخل القيمي كمدخل منهجي والتعامل الدولي كمجال دراسي هام لإعمال هذا المدخل واختبار قدراته، لا يكون شاملاً ولا مُتكاملاً ولا فاعلاً إلا من خلال نظرة حضارية شاملة، يُمكن الاصطلاح على تسميتها بأنَّها "منظور حضاري..."، هذا المنظور يُوفّر عناصر اللياقة المنهجية قيم تابعة؛ سواء الحوادث التاريخية، والمسار التاريخي للمسلمين على تنوعه، وتعدّد مناطقه، وتشعّب علاقاته، كما يجعل من تأسيس العلاقة على "الدعوة" كرسالة حضارية ووظيفة حضارية للأمة أمراً من البدهيّات يتخطّى حدود حبس العلاقة في المواجهة والصراع أو الهدنة والمسالمة إلى أشكال من العلاقات التعاونية والتي تتداخل مع أخرى على النقيض منها، بل وقد تتوازى معها زمنياً وحركياً، وهو أمر يفرض الحديث عن أصول "قيم" التعامل الدولي في سياق "حركة الاستخلاف في التعامل الدولي" وحركة الاستثثار [الغربي] كمنافِض لها، وكأهمّ تميّز لحركة النظام الدولي في صفته الجديدة والقديمة على حدّ سواء" (عبد الفتاح، 1999، ص 10).

وفي هذا السياق، عاجلت الدراسة مجموعة من الإشكالات المنهجية -بوصفها مدخلاً لبناء المنظور الحضاري في ضوء مدخل القيم- تتعلّق بأخطاء التنظير، والتفاعل بين رؤية واقع القيمة والأخطاء في عمليات التنظير؛ بُغْيَةً رَدَّ الاعتبار المنهجي والواقعي للقيم (عبد الفتاح، 1999، ص 20-100).

وقد تناولت الدراسة المسارات الآتية للتأسيس القيمي: قيم التأسيس (عبد الفتاح، 1999، ص 123). وقيم المجال (عبد الفتاح، 1999، ص 175). وقيم السعي (عبد الفتاح، 1999، ص 186).

وكذلك تضمّنت الدراسة آليات تفعيل هذا المدخل القيمي لدراسة العلاقات الدولية من المنظور الحضاري الإسلامي، وأشارت في ذلك إلى المعالم المنهجية الآتية:

- أ. الجمع بين القراءتين (الوحي، والكون) (عبد الفتاح، 1999، ص 238).
 - ب. الاجتهاد والتجديد آلية لعناصر التوليد الفكري والتجدد الذاتي (عبد الفتاح، 1999، ص 241).
 - ت. الضوابط المنهجية وأصول عملية الاجتهاد الحضاري (فقه النظر، وفقه الواقع، وفقه التنزيل، وفقه المنهج) (عبد الفتاح، 1999، ص 250).
 - ث. مجال التفعيل (السياسة، والعلاقات الدولية) (عبد الفتاح، 1999، ص 279).
- وعرضت الدراسة نماذج التشغيل للمنظور الحضاري في ضوء مدخل القيم، وهي:
- النموذج المقاصدي بوصفه نموذجاً إرشادياً (عبد الفتاح، 1999، ص 477).
 - النماذج التاريخية في دراسة التعامل الدولي (عبد الفتاح، 1999، ص 550).
 - النماذج المعاصرة في التعامل الدولي (عبد الفتاح، 1999، ص 566).
 - نموذج استشراق معالم المستقبل في التعامل الدولي من منظور السنن المجتمعية والحضارية (عبد الفتاح، 1999، ص 589).

وأما كتاب مصطفى جابر العلواني "القيم السياسية العالمية في الخطاب القرآني: مدخل منهجي لدراسة العلاقات الدولية"، فاستند بصورة مباشرة إلى القرآن الكريم بوصفه الخطاب الإلهي الذي تضمّن قيمة العالمية وتأسيسها المعرفي والأخلاقي للبشر.

وقد أشار العلواني في كتابه إلى أنّ السياق الحضاري الدولي كان أحد دوافعه لتأليف الكتاب؛ ذلك "أنّ ثمة اهتماماً جديداً بالبُعد القيمي، شهدته مستوى حقل العلاقات الدولية. ومع ثبوت الحديث عن القيم في الفكر الغربي، وعن منظومة القيم، وعن أنهاطها، إلّا أنّ الإشكالية كامنة في أنّ هذه المنظومة لا تستند إلى مرجعية تنزيلية ثابتة مؤطرة واضحة، ولا يكون من بين بواعثها الدين،

ولا تستند بالتالي إلى مرجعية تخصّ العالمَ الإنساني الخارج عن المجال الجغرافي الغربي؛ ما يجعل القيم الغربية وليدة واقع جزئي، ومُرتبطة بالتالي بتطلّعاته" (العلواني، 2015، ص 19).

ومن ثمّ، فإنّ هذه المنظومة القيمية تتطلّب -من وجهة نظر المؤلّف- مرجعية من خارج الإنسان تكون كلية وعالمية وتنزيلية، وهذه المرجعية هي الوحي الكريم. ولهذا حدّد العلواني هدف الدراسة في "إبراز البُعد القيمي في الخطاب القرآني، ومحاولة رد الاعتبار للقيم، ويتحقّق بمحاولات لرسم مستويات قيمية من خلال التأسيس لمنظومة قيم كلية تشمل الحياة الإنسانية كلها، والتأسيس لبناء منظومة للعلاقات الإنسانية، تكون قادرة على توليد منظومات قيم تخصّ مستويات أدق" (العلواني، 2015، ص 22).

وفي ضوء ذلك، تحدّدت المنهجية الخاصة بهذه الدراسة في أربعة مستويات، هي:

أ. بناء مدخل قرآني لمعيارية القيم في القرآن الكريم، وقد جاء ذلك في الباب الأوّل الذي تضمّن عدّة أفكار عن حقائق القيم الكونية، ومستويات الإرشاد القيمي، والمنطلقات الأساسية للقيم العالمية في الخطاب القرآني.

ب. رسم خارطة لمساحات "العالمية" في الخطاب القرآني، وقد جاء ذلك -تطبيقاً- في الباب الثاني الذي تضمّن أفكاراً عديدةً بخصوص مستويات الخطاب القرآني وسياق منهجه، وعالمية المنهج القرآني ووظيفته العالمية الخطابية.

ت. رسم آثار القيم المنهجية في مجال العلاقات الدولية، وقد جاء ذلك في الباب الثالث الذي تناول جُملة من الأفكار، عرضت لدور الأمة المؤمنة في بناء العلاقات ونسيج العالمية، والعلاقات الدولية في الإسلام ومبدئها الأساس.

ث. رسم هذا المستوى خارطة مقاصد ومفاصل للقيم العالمية، وموقع مثاها العالمي، وقد جاء ذلك في الباب الرابع الذي اشتمل على أفكار اختصّت بالخلافة الإنسانية والهدى بوصفها ناظمين لقيم العلاقات العالمية والدولية، ومعالم المثال القرآني في دراسة العلاقات الدولية وتطوّرها.

وبحسب المحتوى الفكري لكتاب العلواني، فإنه يُمكن تصنيفه - من الناحية المنهجية - ضمن مجال الدراسات التأصيلية. ولكن، نظراً إلى ما تضمّنه من حديث عن موضوع الدراسة، وهو "القيم السياسية" و"العلاقات الدولية"؛ فقد ارتأينا إلحاقه بالمجال السياسي للقيم. والمُلاحظ أنّ مساحة التأصيل اللغوي والقرآني - في محاولة لبناء تأصيل مفهوم "القيم السياسية العالمية في الخطاب القرآني" - كانت هي الأغلب على سير الدراسة، والعمل المنهجي فيها.²

إنّ توظيف القيم في المجال السياسي لا يعني فقط تناولها من الجانب التأصيلي، أو المقارن، أو المعياري، وإنما يعني وجوب تناول القيم في هذا المجال، بقضاياها، وإشكالاته النظرية والعملية. وهذا ما لامسته الدراسة من بعيد، ولم تقتحم هذا المجال إلا بتكثيف الأبعاد اللغوية والتأصيلية لمفهوم "القيم العالمية".

3. مجال العلوم الاجتماعية:

تناولت الدراسة التحليلية ما تضمّنه الإنتاج الفكري للمعهد من حديث عن القيم في مجال العلوم الاجتماعية، وأوضحت نتائجها وجود ثلاثة بحوث في هذا الميدان، تُمثّل ما نسبته 13٪ من مجموع مادة المحتوى الفكري الخاص بالقيم، وهو ما يوضّحه الجدول رقم (4).

الجدول رقم (4): كتابات القيم الخاصة بمجال العلوم الاجتماعية

الرقم	العنوان	الكاتب	نوع المادة
1	القيم الأخلاقية والعلوم الاجتماعية: نحو إستمولوجية القيم الحاكمة	عبد الرازق بلعقروز	بحث
2	الحتمية القيمية والإعلام المعاصر	عبد الرحمن عزي	بحث
3	القيم بين واقعية الفعل وسلطة المرجع: مقارنة سييسولوجية في الرواية العربية	الشريف حبيلة	بحث

² لتعرّف المزيد عن هذه الدراسة، انظر:

- عبد العالي، عبد القادر. "مراجعة لكتاب القيم السياسية العالمية والخطاب القرآني: مدخل منهجي لدراسة العلاقات الدولية"، مجلة إسلامية المعرفة، عدد 86، خريف 2016م، ص 193.

انشغل البحث الأوّل "القيم الأخلاقية والعلوم الاجتماعية: نحو إبستمولوجية القيم الحاكمة" بإعادة بناء منهج النظر إلى القيم الأخلاقية، وذلك بنقلها من دائرة الوجود الكهالي أو التجزيئي، أو التهميشي، إلى دائرة النموذج الحاكم، والإطار المرجعي الذي يُنظّم العلوم الإنسانية عامة، والعلوم النفسية بوجه خاص، وذلك في محاولةٍ لمعالجة التشوّهات التي أصابت مسألة القيم في النموذج المعرفي الغربي المادي. "فالنموذج المُهيمن - في العلوم الاجتماعية - قام على الفصل بين القيمة والمعرفة لأسباب ترتبط بالنموذج الحداثي الذي قام على مبدأ عزل الأخلاق عن العلوم، والرؤية التجزيئية للقيم ضمن نظريات القيم المعاصرة؛ ما أورث علوماً اجتماعيةً مأزومةً إبستمولوجياً، وغير محيطة بمختلف جوانب الإنسان، ممّا اقتضى تجديد منهج النظر في الصلة المُمزّقة بين القيم والعلوم الاجتماعية" (بلعقروز، 2015، ص 77).

وفي ما يخصُّ منهجية التناول لهذا الموضوع، فقد بدأ البحث بعرض أهمّ مُسوِّغات تجديد منهج النظر في القيم الخلقية وصلتها بالعلوم النفسية، ثمّ ناقش آثار الفصل القيمي في العلوم النفسية، ثمّ تناول النموذج القيمي الحاكم في ضوء الممارسة الذاتية الإسلامية، واختتم بالحديث عن القيم الأخلاقية الحاكمة ومقاصدها، وذكر من ذلك: مقصد الصلاح، ومقصد الحرية، ومقصد العدل.

أمّا البحث الثاني "الحتمية القيمية والإعلام المعاصر"، فقد هدف إلى إلقاء الضوء على علاقة القيم بالإعلام، ودعا إلى التركيز على القيمة، وجعلها الموضوع الرئيس في برامج الإعلام والاتصال، وذلك في ضوء إعلام مفهوم "المسؤولية الأخلاقية" في اتخاذ القرارات الإعلامية في الميادين الاجتماعية، والثقافية، والفنية، والإنسانية (عزّي، 2015، ص 13).

ويُلاحظ من مضمون البحث أنّ هدفه الرئيس هو إنقاذ المتلقّي الذي وقع في براثن الاستثمار الرأسمالي في مجال الإعلام والصورة على وجه الخصوص، "حيث يُعدُّ تدخّل الرأسمال المادي في المسموع المرئي ظاهرة مثيرة، أمّلته ظروف دولية، ومنها تأثير الحروب الأخيرة في المنطقة العربية والإسلامية]، وظروف داخلية تتجلّى في الصراع الخفي - الظاهر على مجال النفوذ، وشراء الرأسمال الثقافي والصورة الذهنية" (عزّي، 2015، ص 20).

وفي ضوء هذا الهدف، أشار البحث إلى تاريخ المواثيق الأخلاقية في مجال الإعلام في المنطقة العربية والإسلامية، واصفاً إياه بالضعيف نسبياً، مع تذبذب المرجعية الثقافية والأيدولوجية، واستثناء المرجعية القيمية في كثير من المواثيق (عزّي، 2015، ص 22).

أمّا فرضية النظرية القيمية التي ذكرها البحث، فتقوم على مقولة فكرية مفادها "أولّية الأخلاقي على القانوني؛ أي أولّيات أخلاقيات الإعلام على قوانينه، فالانضباط القيمي أديم وأكثر فعالية من تشريعات "خارجية" تحكم تفاصيل الممارسة الإعلامية" (عزّي، 2015، ص 27).

وكذلك أورد البحث وجهة نظر تختصّ بالمعالجة القيمية لبعض الموضوعات، وهي: "القذف"، و"الخصوصية"، و"الملكية الفكرية"، و"العنف والجنس"، و"التهديد والابتزاز".

وأما البحث الثالث "القيم بين واقعية الفعل وسلطة المرجع: مقارنة سيولوجية في الرواية العربية"، فيختصّ بمجال الأدب والنقد الأدبي، ويهدف إلى عمل مقارنة بين الرواية الغربية والمجتمع العربي وقيمته، والوقوف على حضور القيم في العمل الروائي، وبيان سلطة الأيدولوجية على فعل الكتابة، والإجابة عن السؤالين الآتيين: هل تُمثّل القيم عنصراً جمالياً في الرواية العربية؟ كيف يُمكن للواقع الحضور قيمياً في النص الروائي؟ (حبيلة، 2016، ص 113).

وقد دارت محاور البحث حول مفهوم "الأدب" ووظيفته، وجدلية الرواية والواقع، والقيم في الرواية العربية. وفي هذا المحور الأخير، بحثت الدراسة عن صورة الدين في الرواية العربية، وقيم الحرية والالتزام، وحضور الحدس في الرواية العربية.

وقد خلّصت الدراسة التحليلية إلى بيان معرفي يتعلّق "بضرورة بلورة مفهوم للنقد يبني على مرجعية المجتمع العربي والإسلامي، وتخصيص الأدب الإسلامي بمزيد من الدراسات بوصفه نموذجاً يُقدّم القيمة الفاضلة، والحث على عقد دراسات مقارنة بين الأدب الإسلامي والآداب الأخرى، وانفتاح النقد على ما هو جماهيري، لكي يوصل رسالته، ويُرسخ القيم النبيلة في المجتمع" (حبيلة، 2016، ص 149).

4. مجال القيم الجامعية:

يُعنى هذا المجال بمكانة القيم في التعليم الجامعي؛ تدریساً، وبحثاً، وممارسةً. وقد أظهرت نتائج الدراسة التحليلية أن إسهام الإنتاج الفكري للمعهد في هذا المجال اقتصر على بحث واحد (مشترك) لفتحي حسن ملكاوي، وأحمد سليمان عودة: "موقع القيم في التعليم الجامعي"، ضمن الندوة التي نظّمها كل من المركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية بالمدرسة العليا للأستاذة بتطوان، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، ومنظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) عام 2005م.

وقد هدف هذا البحث إلى الكشف عن الجهود المبذولة للعناية بموضوع القيم في تشريعات التعليم الجامعي وممارساته (ملكاوي؛ وعودة، 2006، ص 71)، وحدد ثلاث طرائق لاكتشاف موقع القيم في تشريعات التعليم الجامعي وممارساته: الوثائق والتشريعات الرسمية على المستوى العربي والعالمي، والأدبيات المنشورة عن واقع القيم وتدریسها في التعليم الجامعي، وما تكشف عنه آراء أعضاء هيئة التدريس في الجامعات. وهذا يعني أن الدراسة تحليلية ميدانية، وأن الجانب الميداني إنما جاء لاستقصاء آراء عيّنة من أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الأردنية (ملكاوي؛ وعودة، 2006، ص 73).

وقد خلّصت الدراسة التحليلية إلى أن التشريعات الرسمية المُتعلّقة بالتعليم الجامعي تنصّ - ولو بدرجات متفاوتة- على أن للقيم موقعاً مُهماً في هذا التعليم، وأن ذلك يتناغم مع ما تفيده مراجعة الأدبيات المُتخصّصة في الأبعاد القيمية والأخلاقية للتعليم الجامعي، سواء أكانت كتباً منهجية، أم بحوثاً للدوريات العلمية وأعمال المؤتمرات ووثائق الجامعات، مُؤكّدة أن البُعد الأخلاقي في أعمال الجامعة كان دائماً مصدر قوتها وإنتاجيتها (ملكاوي؛ وعودة، 2006، ص 93).

وفي ما يتعلّق بالجانب الميداني لاستقصاء آراء أعضاء هيئة التدريس بالجامعة الأردنية، فقد شمل المحاور الآتية: موقع القيم في التعليم الجامعي "القيم ذات الأهمية الخاصة في التعليم

الجامعي"، والأسلوب والطريقة في التعبير عن القيم، ودوافع الاهتمام بالقيم في التعليم الجامعي، والمناخ القيمي السائد.

وقد كشفت النتائج التحليلية للدراسة عن استجابة أعضاء هيئة التدريس للسؤال المُتعلّق بموقع القيم، بتأكيدهم أنّ للقيم موقعاً مُهماً في التعليم الجامعي. ومع ذلك، فثمة شعور بأنّ الموقع الأساس للقيم هو التعليم المدرسي، وأنّ الطالب الجامعي يُعدُّ فرداً ناضجاً من الناحية القيمية. أمّا بالنسبة إلى القيم ذات الأهمية، فأوضحت الاستجابات أنّ جميع القيم (الانتماء، والحرية، والصدق، والوفاء، والإبداع، والمسؤولية، والفضيلة، وتقدير قيمة العلم) نالت تقديراً كبيراً. وفي ما يخصّ المحور الثالث المُتعلّق بالأساليب في التعبير القيمي، فقد جاءت استجابات العيّنة مؤكّدةً مفهوم "القدوة الجامعية" بوصفها أفضل الوسائل والطرائق للالتزام القيمي. وأمّا بالنسبة إلى دوافع اهتمام أعضاء هيئة التدريس بالقيم، فقد جاء الدافع الديني في مقدمة الدوافع والاهتمام بقضايا القيم في التعليم الجامعي. وأمّا بالنسبة إلى المناخ القيمي، فتراوحت تقديرات العيّنة بين متوسطة ومنخفضة (ملكاوي؛ وعودة، 2006، ص 93).

5. المجال النقدي:

من المُلاحظ وجود بحثين اهتمّا بالنقد القيمي في هذا المجال، هما: بحث "أزمة القيم في المناهج التربوية على الصعيد العالمي وانعكاساتها على التربية في العالم الإسلامي" لعبد الرحمن النقيب (النقيب، 2006، ص 209-222)، وبحث "القيم العالمية" لفتحى حسن ملكاوي (ملكاوي، 2009، عدد 56، ص 9).

وقد ناقش البحث الأوّل الأزمة القيمية في الغرب ضمن المعطى الأخلاقي، وردّ الفعل التربوي الغربي تجاه معالجة هذه الأزمة، وكيف انعكست على التعليم في عالمنا العربي والإسلامي، بتصدير الأزمات القيمية والإشكالات المُتعلّقة بها إلى واقعنا التربوي والتعليمي، ومحاولة استبدال القيم الغربية المستهدفة بالقيم التربوية في نظامنا التعليمي، التي أهمها نزع قيمة الدين والتدين من الشخصية الإسلامية. وقد أكّد البحث في خاتمته ضرورة إعداد مُعلّمين رساليين قادرين على حماية النظام القيمي الإسلامي.

أما البحث الثاني "القيم العالمية"، فقد تناول إشكالية الصراع القيمي العالمي، وأكد أنه في حقيقته صراع على المصالح، وأنَّ المُتفَوِّق فيه يرى قيمة أكثر تَفَوْقاً من قيم المهزوم والضعيف والفقير. ومن هنا ابتكر الغرب فكرة "نسبية القيم" التي ترتبط بفكرة التطوُّر، واختلاف تفضيلات الإنسان باختلاف الزمان والمكان، ولهذا نجد أنَّ فكرة "القيم العالمية" تستمدُّ دلالات مُتعدِّدة من مختلف الحضارات. فقيم الحضارة الغربية التي تشكَّلت في دائرة حضارية واحدة تغدَّت من مزيج ضمَّ التراث اليوناني، والديانة المسيحية، والتقدُّم العلمي، والحرية الفردية، والتنوير العقلاني، والتطوُّر الطبيعي والاجتماعي. ثُمَّ أصبحت هذه القيم تُشكِّل هُويَّة الغرب، وروح الحضارة الغربية. وقد تحرَّكت الدول الغربية في حملاتها الاستعمارية، حاملةً معها حقَّ الاحتلال والانتداب والحماية لشعوب العالم، وممارسة الوصاية عليها، وهي تزعم أنَّها تريد تخلص هذه الشعوب من قيمها التي صبغتها بالتخلُّف، والرجعية، والجهل (ملكاوي، 2009، ص 9).

6. المجال الاقتصادي:

نجد في هذا المجال كتاب "دور القيم في نجاح البنوك الإسلامية" لمحمد جلال سليمان صديق، الذي يقوم على فرضية فكرية مفادها "أنَّ البنك الإسلامي يُعنى أولاً وقبل كل شيء بتطبيق منهج الله في المجتمع، بكل ما يترتَّب على ذلك من آثار، مُتمثِّلة في نمو وتطوُّر المجتمع، ومساعدة الفرد على أن يمارس الجانب الاقتصادي من عقيدته، والقضاء على الصراع الذي يُمكن أن يدور في نفسه، من جرَّاء تناقض ممارساته العملية مع معتقداته الدينية، وتطابق القول مع العمل، بالإضافة إلى غرس وتعميق المعايير والقيم الروحية لدى الفرد؛ أيَّ تحقيق التوافق الداخلي للفرد، وتحقيق التوافق بين قيمه وقيم المجتمع الإسلامي ككل" (صديق، 1996، ص 278).

وقد انتهج المُؤلِّف في كتابه الأسلوب الميداني لتعرُّف دور القيم في نجاح البنوك الإسلامية، وانقسمت دراسته الميدانية إلى شقين؛ الأول: توزيع استبانة (استمارة) استقصاء على عيِّنة من العاملين في البنوك الإسلامية لتعرُّف أنماط القيم لديهم، إضافةً إلى تحديد مدى شيوع بعض القيم السلبية في البنوك الإسلامية. والثاني: استخراج مؤشِّرات الربحية الاقتصادية ومؤشِّرات النجاح

الاجتماعي باتباع بعض المعايير الاجتماعية بناءً على التقارير السنوية للبنوك الإسلامية (صديق، 1996، ص 291).

ومن النتائج التي توصلت إليها الدراسة وجود علاقة وثيقة بين القيم الاقتصادية والمؤشرات الاقتصادية لنجاح البنوك الإسلامية، وكذلك بين القيم العملية وهذه المؤشرات، وإثبات التحليل الإحصائي وجود علاقة وثيقة بين القيم الاجتماعية والقيم الروحية، والمؤشرات الاجتماعية لنجاح البنوك الإسلامية، وكذلك بين القيم العملية وهذه المؤشرات.

وكذلك أوضحت نتائج الدراسة الميدانية وجود قيم سلبية لدى العاملين في البنوك الإسلامية، من أكثرها شيوعاً: سوء استغلال وقت العمل، والإسراف في استخدام أدوات العمل ومعداته، والتهرّب من المسؤولية، وتملّق الرؤساء، وتفضيل العمل الفردي على العمل الجماعي (صديق، 1996، ص 371).

ولتفعيل القيم في مجال عمل البنوك الإسلامية، وتحقيق مردود اقتصادي وتنموي عالٍ، أوصت الدراسة بضرورة "تبصير العاملين بالبنوك الإسلامية بالقيم السلبية التي تُعدُّ مُعَوِّقاً للعمل، وتؤدي دوراً كبيراً في إهدار الموارد والإمكانات المتاحة بتلك البنوك، الأمر الذي يتعارض مع القيم الإسلامية، ومع أهداف البنوك الإسلامية. ومن ثمَّ دعت الدراسة إلى العمل على تنمية القيم الإسلامية التي تُعدُّ أداة رئيسة للنهوض بالبنوك الإسلامية، وتحسين مستوى الأداء بها" (صديق، 1996، ص 372).

وبالرغم من أهمية هذه الدراسة، فإنَّها أهملت النظرة المقارنة بين القيم السائدة في البنوك الإسلامية والبنوك التي لا ترفع شعار "الإسلامية" في تعاملاتها، وبيان مدى ارتباط القيم السائدة في البنوك الإسلامية والبنوك المقابلة لها، ولم تجب عن الأسئلة الآتية: هل القيم في جميع البنوك واحدة أم مختلفة؟ ما مصدر ذلك الاختلاف إنَّ وُجد؟ ما طبيعته؟ ما اتجاهاته؟ هل توجد فروق جوهرية بينها؟ ما سبب ذلك؟

7. المجال الفلسفي:

في المجال الفلسفي، جاء بحث حيدر العايب "معالم تجديد الفكر الأخلاقي ونقد القيمة في الفكر المغربي المعاصر" (العايب، 2019، ص 127)، الذي هدف إلى نقض ما أشارت إليه بعض البحوث من ضحالة الدراسات الأخلاقية في المجال العربي مقارنةً بمثيلاتها في الفكر الغربي، وتأكيد أن أزمة الإنسانية المعاصرة هي أزمة أخلاقية أساساً، وأنَّ العلاج ينبغي أن يكون من جنس الأزمة؛ أي أن يكون الحلُّ أخلاقياً (العايب، 2019، ص 127).

أما السؤال الرئيس في هذا البحث - كما أشار إليه المحتوي - فهو: إلى أيِّ مدى يُمكن القول بوجود نظرية إسلامية في الأخلاق؟ وفي ضوء الإجابة عن هذا السؤال، عرض البحث خمسة نماذج فكرية مغربية بحثت عن معالم النظرية الأخلاقية في إنتاجهم الفكري، وهذه النماذج هي: محمد عزيز الحبابي في كتابه: "الشخصانية الإسلامية"، ومحمد أركون في كتابه: "الفكر الإسلامي: نقد واجتهاد"، و"الإسلام: الأخلاق والسياسة"، ومحمد عابد الجابري في مشروعه: "العقل الأخلاقي العربي: دراسة تحليلية نقدية لنُظُم القيم في الثقافة العربية"، وأبو يعرب المرزوقي في كتابه: "شروط نهضة العرب والمسلمين"، و"دور الفلسفة النقدية العربية ومنجزاتها: موازنة تاريخية بين ذروتي الفلسفتين العربية والألمانية"، وطه عبد الرحمن في كتابه: "سؤال العنف بين الاتهامية والحوارية".

وقد توصلَ البحث، بناءً على الدراسة التحليلية لبعض كتابات هؤلاء المُفكرين، إلى أنَّ للفكر العربي الإسلامي إسهامه الخاص في مجال الأخلاقيات، لا سيَّما في الفضاء الفكري المغربي الذي شهد زخماً فكرياً مُتنوعاً، فهل من مشارب فكرية إسلامية مختلفة (تراثية إسلامية، وحداثية غربية)؟ (العايب، 2019، ص 161).

والحقيقة أنَّ الشخصيات التي اعتمد عليها البحث كانت مُتباعدة في الاتجاهات الفكرية والمشارب المعرفية والموقف من التراث الإسلامي ونظرياته الأخلاقية والنفسية عامة؛ لذا لم نَلحظ فيه بناء رؤية متناسقة بخصوص تحقيق هدف الدراسة من "المدافعة" عن أتهام التراث الإسلامي

بغياً نظرية أخلاقية متماسكة، بل إنَّ بعض النماذج من العيِّنة المطروحة وجَّهت -في كثير من كتاباتها- سهام النقد إلى التراث الإسلامي، لا سيَّما افتقاره إلى مثل هذه النظريات؛ حتَّى إنَّها عدَّت التراث الإسلامي عائناً من عوائق التفكير الإسلامي.

8. المجال الحضاري:

يتناول هذا المجال الأبعاد الحضارية لموضوع القيم، وجاء في ذلك بحث واحد لنور الدين الخادمي، حمل عنوان "مقاصد القرآن في إحياء قيم الإنسان الحضارية" (الخادمي، 2017، ص 187). وهذا البحث من الدراسات الوصفية التحليلية للقيم الحضارية- الإنسانية في القرآن الكريم، وقد حدَّد أربعة مقاصد للقرآن الكريم، تُمثِّل أربع دوائر من القيم، هي: قيم حضارة الإنسان، وقيم الأصل الإنساني، وقيم الأسرة والبناء الاجتماعي، وقيم المحيط البيئي.

وتتضمَّن هذا البحث أربعة محاور، هي:

- مقصد إنسانية الإنسان، وإحياء قيم الإنسان الحضارية (الخادمي، 2017، ص 190): عرض هذا المحور للقضايا الآتية: إنسانية الإنسان مُشترك مقاصد الشرع وقيم الحضارة (الخادمي، 2017، ص 191)، وإنسانية الإنسان بين المُهدِّدات والمُشترَكَات (الخادمي، 2017، ص 192)، وفشل مُهدِّدات إنسانية الإنسان في تعزيز المُشترَكَات (الخادمي، 2017، ص 194).

- مقصد فرادة الإنسان الجنسية، وإحياء قيم الإنسان الحضارية (الخادمي، 2017، ص 195): اشتمل هذا المحور على القضيتين الآتيتين: حقيقة الجندر وأسسها الهاوية (الخادمي، 2017، ص 196)، وأوجه مقاصدية القرآن في الفرادة الجنسية (الخادمي، 2017، ص 197).

- مقصد الانتظام البشري الجمعي، وإحياء قيم الإنسان الحضارية (الخادمي، 2017، ص 198).

- مقصد التآلف البيئي، وإحياء قيم الإنسان الحضارية (الخادمي، 2017، ص 205): تناول هذا المحور القضايا الآتية: أوجه مقاصدية القرآن في التآلف مع البيئة (الخادمي، 2017، ص 206)، والإخلال بالتناسب حصاد مُرٌّ وثمره خبيثة (الخادمي، 2017، ص 208)، والتدهور البيئي مُصادم لمقاصد القرآن، ومُفوّت لمطلوب العمران (الخادمي، 2017، ص 211).

ونظراً إلى ما طرحه هذا البحث من قيم؛ فإنه يُعدُّ من البحوث المفتاحية لمسألة القيم في المجال الحضاري؛ إذ تجاوز حدود النظرة الذاتية الداخلية إلى القيم الإسلامية. ولذلك يتعيَّن البناء على هذه النظرة، لا سيَّما في بُعدها الكوني المعاصر، وسياقات عمل القيم في حياة الإنسان المعاصر، وكذلك الرصد والتحليل لحركة القيم في حياة الإنسان وتأثيرها المباشر في حياته، وهو ما يدخل حتماً في مقصد العمران، ومقصد حفظ الحياة، وبقية مقاصد الشريعة الإسلامية التي تسري فيها روح القيم.

خاتمة:

تقصّت هذه الدراسة مكانة القيم في الإنتاج الفكري الخاص بالمدرسة الإصلاحية للمعهد العالمي للفكر الإسلامي، وقد انتهت إلى أنّ ثمة حاجة للتركيز على موضوع القيم بصورة مباشرة، بوصفها موضوعاً مستقلاً، وهو أحد أضلاع مثلث الفلسفة: الإيستمولوجيا (المعرفة)، والأنطولوجيا (الوجود) والإكسولوجيا (القيم). وعلى الرغم من أن موضوع القيم لم ينل المساحة المعتبرة المباشرة، إلا أن حضوره واضح وملموس في كتابات مفكري المعهد مثل: الفاروقي، وأبو سليمان، وملكاوي؛ ذلك لأن القيم مساحة متداخلة نجدها في كل العلوم. لذلك توصي الدراسة بما يأتي:

1. إعداد المعهد العالمي للفكر الإسلامي وثيقة تُسمّى وثيقة القيم، يُوضّح فيها موقف المشروع الفكري للمعهد من القيم، ومكانتها في برامج الفكرية مستقبلاً.
2. حفز الباحثين على الاستكتاب في مجال القيم الجامعية، بوصفه أكثر المجالات تعلقاً بعمل المعهد وبرامجه الإصلاحية التي أنشئ (المعهد) من أجلها؛ إذ لوحظ عدم التناسب بين الاهتمام بالتعليم الجامعي، بوصفه مرتكزاً رئيساً لبرنامج الإصلاح في مشروع المعهد، والقيم الجامعية؛ نظيراً، وممارسةً، وتضميناً؛ إذ لم تُلحظ الدراسة التحليلية وجود أكثر من موضوع واحد في ندوة مشتركة.
3. تحقيق الانفتاح الفكري في الكتابات المستقبلية عن القيم، وتعزيز الانفتاح المنهجي في الطروحات المُقدّمة.

المراجع:

- بلعقروز، عبد الرازق (2015). "القيم الأخلاقية والعلوم الاجتماعية: نحو أبستمولوجية القيم الحاكمة": مجلة إسلامية المعرفة، عدد (80).
- حبيلة، الشريف (2016). "القيم بين واقعية الفعل وسلطة المرجع: مقارنة سوسولوجية في الرواية الغربية"، مجلة إسلامية المعرفة، عدد (83).
- الحسني، محمد بلشير (2006). ندوة القيم الإسلامية ومناهج التربية والتعليم، مجلة البصيرة، الرباط، عدد (1).
- حسين، سمير (1996). تحليل المضمون، ط2، القاهرة: عالم الكتب.
- سليمان، محمد جلال (1996). دور القيم في نجاح البنوك الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- طعيمة، رشدي (2004). تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية، القاهرة: دار الفكر العربي.
- العايب، حيدر (2019). "معالم تجديد الفكر الأخلاقي ونقد القيمة في الفكر المغاربي، المعاصر"، مجلة إسلامية المعرفة، عدد (96).
- عبد الفتاح سيف الدين (1999). مدخل القيم: إطار مرجعي لدراسة العلاقات الدولية في الإسلام، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- عزي، عبد الرحمن (2015). "الحتمية القيمية والإعلام المعاصر": مجلة إسلامية المعرفة، عدد (81).
- العلواني، طه جابر (2006). (كلمة): ندوة (القيم الإسلامية ومناهج التربية والتعليم، الرباط، مجلة البصيرة، عدد (1).
- العلواني، مصطفى جابر (2015). القيم السياسية العالمية في الخطاب القرآني.. مدخل منهاجي لدراسة العلاقات الدولية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

الفاروقي، إسماعيل (1984). أسلمة المعرفة المبادئ العامة وخطة العمل، ترجمة: عبد الوارث سعيد، الكويت: دار البحوث العلمية.

المعهد العالمي للفكر الإسلامي (1986). إسلامية المعرفة (المبادئ العامة - خطة العمل - الإنجازات).

ملكاوي، فتحي حسن (2008). "التأصيل الإسلامي لمفهوم القيم"، مجلة إسلامية المعرفة، عدد (54).

ملكاوي، فتحي حسن (2009). "القيم العالمية"، مجلة إسلامية معرفية، عدد (56).

ملكاوي، فتحي حسن (2013). منظومة القيم العليا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

ملكاوي، فتحي حسن، عودة أحمد سليمان (2006). "موقع القيم في التعليم الجامعي"، مجلة البصيرة التربوية، ندوة المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الرباط، عدد (1).

منجود، مصطفى محمود (1999). "القيم والنظام المعرفي في الفكر السياسي... رؤية مقارنة في إسهامي الغزالي وميكافيلي"، مجلة إسلامية المعرفة، عدد (19).

النجيب، عبد الرحمن (2006). "أزمة القيم في المناهج التربوية على الصعيد العالمي وانعكاساتها على التربية في العالم الإسلامي، مجلة البصيرة التربوية، ندوة المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الرباط، عدد (1).

النيفر، أميمة (1987). "القيمة التربوية وبناء الشخصية الإسلامية المعاصرة"، مؤتمر "المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية المنعقد في تونس.

هيئة التحرير (2019). "تربية القيم في عصر ما بعد الحقيقة"، مجلة إسلامية المعرفة، عدد (96).